

أوجه التشابه والاختلاف بين ابو عبد الله الداعية وعبد الله بن ياسين الجزولي دراسة تاريخية

م. د. صالح احمد صالح الجبوري
جامعة الموصل - كلية الآداب

الملخص

ان قيام اي دولة لم يكن بالأمر الهين، وانما يتطلب الامر جهود ماضية وتضحيات جسام يقوم بها اشخاص معينين، ويقترن قيام اي دولة بشخصية عظيمة يكون لها الدور الاكبر في قيام هذه الدولة، فهذا ابو عبدالله الداعية جاء من المشرق وحيدا ووصل بلاد المغرب وتمكن من جمع الاتباع واقناعهم بالهدف الذي جاء من اجله واقام دولة عظيمة هي الدولة الفاطمية، وفي نفس السياق قام عبدالله بن ياسين بتفقيه ابناء الصحراء وجعل منهم رجالا اشداء ينصرون الحق على الباطل واقام بجهودهم دولة المرابطين العظيمة.

وعلى الحملة كان لكل من الرجلين طريقه الخاص الذي رسمه لاتباعه، فكانت هناك امور تشابه بها الرجلان واخرى مختلفة من النواحي السياسية والعسكرية والمذهبية، حتى في وفاة كل منهما، فابو عبدالله تل على يد الرجل الذي كان يدعو له، وابن ياسين في احدى حروبه مع الاعداء وهو قائد لاتباعه مطاعا من قبلهم.

الكلمات المفتاحية: المغرب، كتامة، القيروان، قبيلة، المرابطين.



Similarities and differences between Abu Abdullah Al-Da'a and Abdullah bin Yassin Al-Jazouli

A historical study

Saleh Ahmed Saleh Al-Jubouri

University of Mosul- College of Arts

saleh.a.s@uomosul.edu.iq

Abstract

The establishment of any state was not a simple matter, but rather it requires painstaking efforts and huge sacrifices made by certain people, and the establishment of any state is accompanied by a great personality that has a greater role in the establishment of this state. The followers and convinced them of the goal for which he came and established a great state, the Fatimid state, and in the same context Abdullah bin Yassin dispersed the sons of the desert and made them strong men who champion truth over falsehood and established, with their efforts, the great Almoravid state.

According to the sentence, each of the two men had his own path that he drew for his followers, so there were things that the two men were similar to and different from the political, military and sectarian aspects, even in the death of each of them. He is the leader of his followers obeyed by them.

Keywords: Morocco, Kutama, Kairouan, Kabyle, Almoravids.

المقدمة

ظهرت في التاريخ الكثير من الشخصيات البارزة التي كان لها دور أساسي ومهم في قيام دول حكمت مشارق الارض او مغاربها ، ومن هذه الشخصيات المهمة الاولى تمثلت بالداعية ابو عبدالله الذي كان له دور كبير في قيام الدولة الفاطمية التي حكمت بلاد المغرب مدة من الزمن ثم انتقلت الى مصر ، كما هو معلوم ، والثانية تمثلت بعبداالله بن ياسين الجزولي صاحب الفضل الاكبر في قيام دولة المرابطين ، وبالرغم مما كتب عن الشخصيتان الا أننا افردنا المبحثان الاول والثاني للحديث عنهما وذلك استكمالاً لهذه الدراسة التي كان الهدف الاساس منها هو إظهار أوجه التشابه والاختلاف بين كلا الشخصيتين في الجوانب السياسية والدينية والعسكرية .

وبما ان الدراسة كانت دراسة تاريخية فلم نشأ الخوض في دراسة الجوانب الفقهية والعقدية لكل منها وإنما اكتفينا بدراسة الجوانب السياسية وكيف ساهم كل منهما في انجاز المهمة التي كلف بها الى ان انتهى الى قيام دولة عظمى حكمت مدة طويلة من الزمن وكان لها ثقلها ومركزها المهم بين الدول في ذلك الزمان ، وتفرّد المبحث الثالث بالحديث عن أوجه التشابه والاختلاف بين كل من الداعيتين .

المبحث الاول

ابو عبدالله الداعية:

اسمه ونسبه :

هو ابو عبدالله الحسين بن احمد بن محمد بن زكريا، من اهل صنعاء^(١)، كان رجلا علم ودهاء خبيرا بالرجال واسع الحيلة، بعيد النظر ضليعا في المذهب الاسماعيلي^(٢) والمذاهب الاخرى^(٣)، ثم اختياره ليكون داعية لنشر المذهب الاسماعيلي في بلاد المغرب فقام بالمهمة احسن قيام.

دوره في قيام الدولة الفاطمية :

يعد ابو عبدالله الداعية من الشخصيات البارزة في التاريخ الاسلامي، فقد تحلى بالكثير من صفات القيادة والشجاعة والحكمة والدهاء، لذلك تم اختياره ليكون داعيا من دعاة الاسماعيلية لنشر هذا المذهب في بلاد المغرب، وقد ارسل اول الامر الى اليمن التي اصبحت مركزا هاما للدعوة الاسماعيلية وذلك لبعدها عن مركز الخلافة العباسية ومناعتها وصعوبة الطرق الموصلة اليها ولقربها من الحجاز مجمع الحجاج^(٤).

وصل ابو عبدالله الداعية الى اليمن سنة (٢٧٨هـ/٨٩١م) ليتدرب لدى داعي الدعوة الحسن بن فرج بن حوشب بن زادن^(٥)، الذي كان قد وصل الى اليمن سنة (٢٦٨هـ/٨٨٢م) ولقب بمنصور اليمن لجمعه عددا من الاتباع وتحقيق النصر على السلطة الحاكمة في مدينة عدن^(٦).

اقام ابو عبدالله الداعية في اليمن مدة من الزمن ثم انتدبه ابن حوشب للذهاب الى بلاد المغرب لنشر المذهب الاسماعيلي واقامة الدعوة هناك خاصة بعد وفاة الداعيتين الذين ارسلهما ابن حوشب الى بلاد المغرب في وقت سابق، فقال له: "ان ارض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وابو سفيان^(٧) وقد ماتا، وليس لها غيرك فبادر، فإنها موطأة ممهدة لك"^(٨).

وجاء اختيار بلاد المغرب موقفا كل التوفيق لبعده عن مركز الخلافة العباسية وتذمر البربر من الحكم العباسي، والذين تمكنوا من اقامة دول بفضل قادة عرب مثل دولة الادارسة (١٧٢هـ-٣٧٥هـ/٧٨٩-٩٨٦م) والدولة الرستمية (١٦٠-٢٩٦هـ/٧٧٧-٩٠٩م)^(٩).

وحرث الارض من قبل هذان الرجلان (بمصطلح الدعوة) يعني أنهما اعدا النفوس لقبول فكرة الدخول في الدعوة الاسماعيلية وإقامة دولة لرجل يرتضيه الناس من اهل البيت، ولم يتيسر الامر لأبو سفيان والحلواني لأكثر من الحرث واحتاج الامر الى صاحب بذر، أي رجل ينشر

البذور في الارض المحروثة ويرعاها حتى تطع والمقصود بذلك رجل قادر على تكوين القوة العسكرية الموجودة لاتمام هذا الامر^(١٠).

خرج ابو عبدالله الداعية من اليمن الى مكة مبعوثا من امامه ابن حوشب الذي اعطاه مالا وارسل معه احد الاتباع^(١١)، وعند وصوله الى مكة سأل عن حجاج قبيلة كتامة من بلاد المغرب فالتقى بهم وجلس مع شيوخهم ومنهم حريث الجيمي وابو القاسم الورفجومي ومسعود بن عيسى بن ملال الساكتي^(١٢)، وصار يلقاهم في كل يوم فيحدثهم ويلقي فيهم علمه حتى بهر عقولهم واجتذب قلوبهم، وكان يظهر مع ذلك عفافا وورعا وقناعة ودينا مما زادهم فيه محبة، فطلبوا منه الاذن في زيارته فأذن لهم في ذلك ففرحوا كثيرا^(١٣).

وتوثقت العلاقة بين ابو عبدالله الداعية وهؤلاء القوم فكان يسألهم عن بلادهم وأحوالهم وقبائلهم، وعندما سألهم عن طاعتهم لسلطان افرقية قالوا: ((ماله علينا طاعة، وبيننا وبينه عشرة ايام، قال: أفتحملون السلاح؟ قالوا: هو شغلنا ولم يزل يتعرف احوالهم حتى وصلوا الى مصر، فلما اراد وداعهم قالو له: اي شيء تطلب بمصر، قال: اطلب التعليم بها، قالوا: اذا كنت تقصد هذا فبلادنا انفع لك، ونحن أعرف بحقك، ولم يزلوا به حتى اجابهم الى المسير معهم بعد الخضوع والسؤال فسار معهم))^(١٤).

وعند وصوله الى بلاد المغرب كان ابو عبدالله الداعية قد عرف ابن سينزل وكيف سيعمل، وذلك لكثرة ما حصله من العلم بشؤون اولئك الناس، وعندما اقتربوا من موطنهم ووصلوا الى بلد صغير يسمى (ايكجان)^(١٥) في منطقة جبلية وعرة، عرف أن هذه منازل قبيلة سكتاتة من بطون كتامة^(١٦)، عندها مر بفج قريب من إيكجان قال هذا هو فج الاخيار، وأوهمهم أنهم هم الاخيار - والفج ممر طويل في الجبل - وكان اسم هذا الفج بالبربرية قريبا من لفظ (فج الاخيار)، فدهش الناس من معرفة ابي عبدالله الداعية بهذا الامر ولم يكونوا نكروه له، ثم قال لهم ان اسمهم كتامة، وهو مشتق من الكتمان، والكتمان أول شروط الدخول في الدعوة^(١٧)، فأعجبهم ذلك مع ان اسم كتامة قديم وجد في سجلات الرومان^(١٨).

واستقر ابو عبدالله الداعية في بلدة ايكجان في منازل قبيلة سكتاتة من قبائل كتامة، ونهج في حياته نهج المعلم الصالح وأخذ يعلم الناس حتى اشتهر امره بالصلاح والعدالة، فلما استوثق من مكانته على هذه الصورة أخذ يتحول من معلم ديني الى قائد سياسي، واصبح رئيسا لقبيلة سكتاتة وأصلح أمر القبيلة ونشط رجال القبيلة في الاغارة على حدود الاغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م) وحيكت المؤامرات ضده، فأنشأ لنفسه دائرة من الاصحاب والانصار، واقنع اصحابه بفساد الحكم الاغربي وان الله سيورثهم بلاد الاغالبة اذا هم صدقوا في تأييده^(١٩).

فتسامعت به القبائل وصنع من الحيل والمكيدات ما أذهل عقولهم، واجتمع البربر حوله من كل مكان وعظم أمره، وحاول قسم من أهل العلم مناظرته فلم يتركه الكتاميون يناظرهم وذاع صيته فبلغ الخبر الى ابراهيم بن احمد بن الاغلب (٢٦١-٢٨٩هـ/٨٧٥-٩٠٢م) أمير افريقية، فأرسل الى عامله على مدينة ميلة يسأله عن أمره فصغره وذكر له انه يلبس الخشن ويأمر بالخير والعبادة فسكت عنه^(٢٠).

بعد ذلك انقسمت قبيلة كتامة الى فريقين بين معارض ومؤيد لابي عبدالله الداعية وحاول بعضهم قتله ونجى من الاغتيال مرات عديدة، ووقع قتال شديد بين افراد القبيلة بسببه فالتجأ الى احد شيوخ كتامة واسمه الحسن بن هارون وبدأ بقتال القبائل المعارضة له فأخضعها الواحدة تلو الاخرى وجعل الحسن بن هارون على اعنة الخيل وانتقل الى مدينة تازروت الحصينة في جبال الاوراس، وجمع حوله عدد كبير من المؤيدين والاتباع، وحصل على غنائم كثيرة واشتد حماس اتباعه وساعده على ذلك ضعف وانحلال دولة الاغالبة وانغماس اخر امرائها بالهلو والملذات واخذ ابو عبدالله بالتشهير بامراء الاغالبة وظلمهم للرعية، وفي نفس الوقت اظهر من الحزم والشجاعة والمقدرة السياسية والكفاءة العسكرية ما جعله ثقة لمن حوله من القادة والجنود^(٢١)، حتى اصبح مثلهم الاعلى وحقق انجازات عسكرية وسياسية كبيرة في فترة وجيزة.

وفرض ابو عبدالله على اتباعه جباية قليلة هي اشبه بالتبرع للحركة، وبلغ من ذكائه أنه جعل هذا المال بأيدي شيوخ كتامة فلا يتصرف هو بشيء منه الا باذنهم، وبهذا المال ايضا بدأ سلسلة من الحملات على ما يقرب من منازل كتامة من بلاد الزاب، ووفق في حملاته الاولى وغنيت ايدي الكتاميين بالغنائم فاشتد حماسهم وقويت شوكتهم^(٢٢)، (فلبسوا اثواب الحرير وتقلدوا السيوف المحلاة، وركبوا سروج الفضة واللجم المذهبة، وكثر عندهم السلاح فشرفت أنفسهم وتحققت امالهم، وصح عندهم ما كان ابو عبدالله يعدهم به من النصر)^(٢٣).

وهنا أعلن ابو عبدالله بأنه يدعو للرضى من ال البيت، وأنه قائم بالدعوة حتى يسلمها لصاحب الامر من ال رسول الله (ﷺ)، وهو الامام المستتر صاحب الزمان^(٢٤). ويقصد بذلك الخليفة الفاطمي الذي سيسلم ابو عبدالله الداعية الامر اليه ويكون احد اتباعه.

ثم تقدم ابو عبدالله الى مدينة ميلة سنة (٢٨٩هـ/٩٠٢م) فقاتل اهلها حتى اجبرهم على طلب الصلح والأمان فأمن اهلها ودخلها، فوصل الخبر الى امير افريقية ابراهيم بن احمد فأرسل ابنه الأحول في اثني عشر الف مقاتل وانضم اليه في الطريق عدد كبير من المتطوعة فالتقى مع جيش ابو عبدالله وبعد قتال شديد انهزم ابو عبدالله وتبعه جيش الاغالبة فسقط ثلج كثيف وحال

بينهما ، فسار ابو عبدالله الى جبل ايكجان، أما الاحول فقد دخل مدينة تازروت واحرقها ثم دخل مدينة ميلة واحرقها ايضا بعد ان وجدها خالية من السكان^(٢٥).

ومع ذلك فقد جاءت الظروف مواتية لابي عبدالله الداعية، ففي سنة (٢٨٩هـ/٩٠٢م) توفي امير افريقية ابراهيم بن احمد فتولى ابنه ابو العباس عبدالله الثاني الذي لم يدم طويلا في الحكم فقد قتل بمؤامرة دبرها ابنه زيادة الله الثالث سنة (٢٩٠هـ/٩٠٣م) وكان الاخير طائشا سفاكا للدماء قتل عددا من اعمامه واخوته وخدمه، واعظم خدمة قدمها لابي عبدالله الداعية هي انه استدعى اخيه الاحول فقتله، والذي كان مرابطا بالجيش الاغلبية امام ابو عبدالله^(٢٦).

وعرف عن زيادة الله (٢٩٠-٢٩٦هـ/٩٠٣-٩٠٩م) حبه للهو والشراب والغناء، فلم يكن الرجل المناسب لهذه المرحلة ليصمد امام هذه التحديات الكبيرة، فقد عكف على الملذات وترك أمر الدولة، فبدأت جيوش ابي عبدالله باجتياح المدن الاغلبية الواحدة بعد الاخرى، وبناء على هذه المعطيات فقد بادر ابو عبدالله الداعية بإرسال رسالة مع رجال من قبيلة كتامة فيمن يثق بهم الى عبيدالله المهدي المؤمل ان يكون اول الخلفاء الفاطميين المقيم في سلمية (وهي قرية في بلاد الشام) يطلب منه المجيء الى بلاد المغرب لان الله قد فتح عليه، فتوجه عبيد الله الى مصر ومعه ولده ابو القاسم نزار، ثم انطلق الى طرابلس وكان لديه احمال من الاموال، فكان يقدم الاموال والهدايا للولاة في المدن التي يمر بها، بعدها انطلق الى مدينة سجلماسة المنعزلة في الجنوب الغربي من الصحراء، فنزل عند حاكمها اليسع بن مدرار (٢٧٠-٢٩٦هـ/٨٨٤-٩٠٩م) على انه تاجر يجوب البلاد، فأهدى لليسع هدايا وأموال لكن الاخير عاد واعتقله بعد ورود معلومات من زيادة الله انه هو الرجل الذي يدعو له ابو عبدالله^(٢٧).

حاول زيادة الله بن الاغلب التصدي لابي عبدالله الداعية، وهي اخر محاولة له اذ جمع جيشا بلغ اربعين الفا وأمر عليه أحد اقاربه وهو ابراهيم بن حبشي وأمدته بالأموال والسلاح، وانضم اليه عدد كبير من المتطوعين والتقى الفريقان قرب مدينة سبتة وبعد قتال شديد انهزم جيش الاغلبة وقتل عدد كبير منهم، وغنم ابو عبدالله كل ما كان في معسكر الاغلبة من الاموال والسلاح وغير ذلك، فعاد ابراهيم بن حبشي مهزوما الى القيروان فاضطربت افريقية وانهارت دولة بني الأغلب وذلك سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م^(٢٨).

ثم تقدم ابو عبدالله الداعية بجيوشه ففتح قسطنطينية^(٢٩) وقفصة^(٣٠) وغيرها من المدن المهمة الى ان وصل الى الاربس^(٣١) وهي مفتاح القيروان فدخلها ابو عبدالله سنة (٢٩٦هـ/٩٠٩م)^(٣٢)، وبعد هذه الهزائم المتكررة ادرك زيادة الله بن الاغلب انه لا مقام له بأفريقية فخرج منها حاملا امواله واهله وتبعه الكثير من اهل بيته وحاشيته ومواليه، فتوجه الى المشرق فوصل مصر ثم

توجه الى الرقة في بلاد الشام وحاول الوصول الى بغداد فلم يأذن له الخليفة العباسي المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٢م) فنزل بالرملة من بلاد الشام وانشغل باللهو والملذات الى ان توفي سنة (٢٩٩هـ/٩١٢م)^(٣٣).

واصل ابو عبدالله زحفه فدخل مدينة رقادة^(٣٤) وذلك في شهر رجب من سنة (٢٩٦هـ/٩٠٩م) وكانت خالية من السكان، فنادى بالأمان فعاد الناس الى بلادهم، ونزل ابو عبدالله في احد قصورها ووزع دورها على اتباعه من قبيلة كتامة، ثم عين العمال على البلاد وجمع الاموال والسلاح والجواري وكل ما كان بيد الاغالبه فاستحوذ عليه، ثم جاءه فقهاء ووجهاء القيروان فسلموا عليه وهأوه بالفتح فرد عليهم ردا حسنا واعطاهم الامان^(٣٥).

ولما حضرت الجمعة أمر الخطباء بالخطبة ولكن بدون ذكر اسم اي شخص، وأمرهم بالصلاة على محمد وعلى امير المؤمنين علي والحسن والحسين (عليهم السلام)، وزاد في الاذان حي على خير العمل^(٣٦).

ولاستكمال اصول الحكم فقد أمر ابو عبدالله بضرب السكة وان لا ينقش عليها اسم، وان يكتب على احد وجهيها بلغت حجة الله وعلى الوجه الاخر تفرق اعداء الله، ونقش على السلاح: عدة في سبيل الله، ووسم الخيل على افخاذها: الملك لله، واستمر على ما كان عليه من لبس الخشن والقليل من الطعام^(٣٧).

سار ابو عبدالله الداعية في اهل القيروان وافريقية عامة سيرة طيبة، وحرص على ان لا يصارح الناس بالدعوة الجديدة، واراد ان يتم ذلك عن طريق الاقتناع ودارت مناظرات بين زعماء المذهب المالكي وخاصة ابي عثمان سعيد بن الحداد وابي عبدالله الداعية ودعاة المذهب، ومن خلال تلك المناقشات ايقن ابو عبدالله ان قناة اولئك المالكيين لن تلين وان الناس لهم تبع، فعول على الانصراف عن الدعوة النشيطة حتى يستتب الامر للدولة الجديدة، ولم يرضى عن تصرف اخيه ابو العباس الذي كان واليا على القيروان لأنه لجأ الى العنف لفرض المذهب الجديد على الناس^(٣٨).

ولما استقرت الامور لأبي عبدالله الداعية، استخلف على القيروان اخاه ابو العباس وابو زاكي تمام بن معارك وخرج سنة (٢٩٦هـ/٩٠٩م) في جيوش عظيمة قاصدا سجلماسة عاصمة بني مدرار لتخليص عبيد الله المهدي المعتقل لدى اليسع بن مدرار، وبعد معركة بسيطة انهزم اليسع بن مدرار فالقي القبض عليه وقتل، وتم اخراج عبيد الله المهدي وولده من الحبس وسلم ابو عبدالله الامر اليه وبقي عبيد الله المهدي مدة من الزمن في سجلماسة ثم عاد الى القيروان^(٣٩).

وفي طريق عودتهم تمكن الفاطميون من القضاء على الدولة الرستمية وبهذا ورثت الدولة الفتية ثلاث دول هي دولة الاغالبة، ودولة بني رستم، ودولة بني مدرار (١٤٠-٢٩٦هـ/ ٧٥٨-٩٠٩م)^(٤٠)، وذلك سنة (٢٩٧هـ/٩١٠م)، ثم توجه المهدي الى ايكجان فأخذ جميع الاموال الموجودة فيها وحملها معه فوصل مدينة رقادة في شهر ربيع الاخر سنة (٢٩٧هـ/٩١٠م) فخرج اليه اهل القيروان ورقادة فسلموا عليه فرد عليهم ردا جميلا ونزل في احد قصور رقادة وأمر الخطباء يوم الجمعة بذكر اسمه على المنابر وتلقب بالمهدي امير المؤمنين^(٤١).

مقتل ابو عبدالله الداعية

باشر عبيد الله المهدي (٢٩٧-٣٢٢هـ/٩١٠-٩٣٤م) الامور بنفسه واستعمل الكتاميين على مدن افريقية، ودون الدواوين وجبى الاموال واستقرت قدمه، وانتهت بذلك ولاية ابي عبدالله الداعية بعد ان دامت حوالي عشر سنوات (٢٨٨-٢٩٨هـ/٩٠١-٩١١م)، ولأول ولاية عبيد الله المهدي فعل فعلة شككت الكتاميين في اصالته ومستوى تفكيره فقد استولى على جميع الاموال التي جمعوها وحرسوها في ايكجان، واخذها دون أن يستشير او يكثرث لرأي احد فبدأت نفوس كبار الكتاميين تتغير ويساورها الشك، خاصة وأن ابا عبدالله الداعية شاركهم في ذلك ولم يخف استيائه، لكنه كان ضابطا لمشاعره ولسانه عكس اخاه ابا العباس الذي كان يتكلم عن المهدي امام الملاء^(٤٢).

وقد علم عبيد الله المهدي بالأمر فقرر تصفيتهم جميعا وذلك سنة (٢٩٨هـ/٩١١م) فأرسل ابا زاكي تمام بن معارك الكتامي ليكون عاملا على طرابلس وارسل كتابا الى عاملها بقتله فور وصوله فقتله بسبب تامره مع ابو العباس، ثم نصب كميناً لأبي عبدالله واخيه وارسل اليهما ليحضرا الطعام معه وقرب قصره خرج عليهما عروبة بن يوسف الملوسي وجبر بن تماشت الجيملي ابرز قادة الجيش الفاطمي، فصاح ابو عبدالله على عروبة ((لا تفعل يا ولدي، فقال له: أمرني بقتلك من أمرت الناس بطاعته، وانخلعت له من الملك بعد توطئته، ثم طعنه بيده طعنة واحدة خر منها صريعا ووقعت في ابي العباس تسع عشرة طعنة، ثم امر عبيد الله بدفنهما دفنًا في الجنان وقال: رحمك الله ابا عبدالله وجزاك في الآخرة بقديم سعيك، ولا رحمك الله ابا العباس فانك صدده عن السبيل واوردته موارد الهلاك))^(٤٣).

وبهذه العجالة قضي على الرجل الذي كان صاحب الفضل الاعظم في قيام هذه الدولة التي حكمت مناطق واسعة في المغرب ثم مصر وبلاد الشام فيما بعد واستمرت لأكثر من مائتي سنة، وكان ابو عبدالله الداعية من اخلص الدعاة وانشطهم وقد افنى من عمره ما يقارب العشر سنوات في سبيل نجاح هذه الدعوة، وتحقق حلمه بقيام الدولة التي قتل على يد اول زعمائها بسبب اعتراضه على سيادة الحاكم الجديد فدفع حياته ثمنا لذلك.

المبحث الثاني

عبدالله بن ياسين

اسمه ونسبه :

هو عبدالله بن ياسين بن مكوك بن سير بن علي الجزولي، اصله من قرية تاماناوت في طرف صحراء غانا، درس على فقيه السوس وجاج بن زلو اللمطي^(٤٤)، ثم رحل الى الاندلس في طلب العلم وبقي بها عدة سنين ثم عاد الى بلاد المغرب، وكان من خيرة طلاب الشيخ وجاج بن زلو^(٤٥).

اختياره لتفقيه ابناء الصحراء :

تعد قبيلة صنهاجة من القبائل الكبيرة التي انتشرت في المغرب الاقصى، وهي تضم عدد كبير من القبائل مثل لمتونة وجدالة وجزولة ولمطة ومسوفة وغيرها، وفي بداية القرن الخامس الهجري كانت القبائل الزناتية تحاصرها من جهة الشمال اما جنوبا فكانت قبائل السودان تمنعها من الانسياح في اراضي وانهار السودان الغربي^(٤٦).

فكان لا بد لهذه القبائل من مخرج يخرجها من الحصار المفروض عليها، وجاءت الفرصة المواتية عندما خرج احد زعماء قبيلة جدالة لأداء فريضة الحج، وهو يحيى بن ابراهيم الجدالي وذلك سنة (٤٢٧هـ/١٠٣٦م) وفي طريق عودته نزل في مدينة القيروان وحضر بها مجلس الفقيه المالكي ابو عمران الفاسي^(٤٧)، فدهش يحيى بن ابراهيم لما رأى من علم هذا الفقيه ودار بينهما حوار إذ سأله الفقيه عن مذهبه فقال ليس عندنا في الصحراء من هذا شيء وأخبره انهم لا يعرفون سوى الشهادتين والقليل من يعرفون الصلاة^(٤٨).

ثم أردف يحيى بن ابراهيم قائلاً : ((مالنا علم من العلوم ولا مذهب من المذاهب لأننا في الصحراء منقطعون لا يصل الينا الا بعض تجار جهال، حرفتهم الاشتغال بالبيع والشراء لا علم عندهم، وفينا اقوام صالحون يحرصون على تعلم القران وطلب العلم، ويرغبون في التفقه في الدين لو وجدوا الى ذلك سبيلا فعسى يا سيدي أن تنتظر لنا من طلبتك من يتوجه معي الى بلادنا ليعلمنا ديننا))^(٤٩).

وقد عرض الفقيه ابو عمران الفاسي الأمر على طلابه فلم يوافق احد منهم على الذهاب مع يحيى بن ابراهيم وذلك لبعده المسافة والانقطاع في الصحراء، فكتب ابو عمران له كتابا الى احد طلابه في بلاد السوس^(٥٠) وهو الفقيه وجاج بن زلو اللمطي الذي كان يقيم في رباط في مدينة نفيس، فرحب به الفقيه وجاج وأكرمه واختار له احد طلابه وهو الفقيه الشاب عبدالله بن ياسين الجزولي^(٥١)، الذي قام بالمهمة افضل قيام .

عبدالله بن ياسين المؤسس الحقيقي لدولة المرابطين :

نهض عبدالله بن ياسين لأداء مهمته، وتوجه بصحبة يحيى بن ابراهيم الى قبيلة جدالة، وبدأ يعمل وتكشف عن رجل نشيط متحمس واسع المطامح، فلم يقتصر على تعليم الجداليين شعائر الدين، بل أراد ان يهذب اخلاقهم ويخرجهم من حياة الخشونة والبدائية التي كانوا يعيشون فيها، ووضع لهم نظاما للآداب العامة واخذهم بالشدة، وكانوا اهل فوضى وجفوة وقلة نظام، فلم يلبثوا أن ثاروا على عبدالله بن ياسين واخرجوه من بلادهم^(٥٢).

لجأ ابن ياسين الى شيخه وجاج بن زلو يشكو اليه مما صنع القوم، فنصحته شيخه بأن يذهب الى منازل قبيلة لمتونة، وكانوا أميل الى النظام والتماسك والعمل الجاد^(٥٣).

عاد ابن ياسين ونزل عند قبيلة لمتونة وبدأ يمارس مهنة التدريس والوعظ والارشاد، فكان يدرس طلبه العلم باللغة العربية ، والارشاد الديني للعامة بلهجة أهل الصحراء البربرية^(٥٤).

مكث ابن ياسين مدة من الزمن ثم خرج مع مجموعة من طلبته المخلصين واختار مكانا في جزيرة عند مصب نهر السنغال ليفرغوا لأموال العبادة وهناك أنشأ رباطه الذي اتسع تدريجيا وكثر فيه عدد اتباعه حتى وصل الى الالف، وقد اخلص له هؤلاء الرجال واطاعوه طاعة عمياء، وعرفوا بالمرابطين نسبة الى هذا الرباط^(٥٥).

ثم ارسل ابن ياسين الى القبائل المجاورة يدعوها للطاعة وعندما رفضوا الدخول في طاعته، أمر اتباعه بغزوها ، وبدأ بجدالة فهاجمها وقتل منها عدد كبير من الرجال وذلك سنة (٤٤٦هـ/١٠٥٥م) ثم غزى لمتونة ومسوفة حتى دانت له جميع القبائل الصنهاجية بالطاعة فاستقام أمره^(٥٦)، ثم توفي يحيى بن ابراهيم فاختر ابن ياسين يحيى بن عمر وكان رجلا صالحا شديد الانقياد والمحبة لابن ياسين^(٥٧) وفي نفس الوقت كان شيخ لمتونة وكبيرها.

وتبأت لمتونة مكان الصدارة بين قبائل صنهاجة وقادت جميع تلك القبائل وذلك لشجاعة رجالها واقدامهم في الحرب، إذ كان ((في قتالهم شدة وبأس ليس لغيرهم وبذلك ملكوا الارض، وكان قتالهم على النخب أكثر من الخيل وكان معظم قتالهم مترجلين، يقفون على اقدامهم صفا بعد صف، يكون بأيدي رجال الصف الاول منهم القنا الطوال وكانوا يختارون الموت على الانهزام ولا يحفظ لهم فرار من زحف))^(٥٨).

وهنا تظهر صفة اخرى من صفات عبدالله بن ياسين الكثيرة وهي صورة القائد العسكري الماهر الذي يحسن قيادة الجيوش وترتيب المعارك، وييدي في ذلك الميدان مهارة لا بأس بها، وكانت الخطوة الاولى امامه القضاء على سلطان المغراويين والزناطين الذين كانوا يسيطرون على المغرب الاقصى^(٥٩).

في سنة (٤٤٧هـ/١٠٥٦م) عبر عبدالله بن ياسين الصحراء مع جيشه الذي يقوده يحيى بن عمر متجها الى الشمال فوصل الى اقليم تافيلالت الذي كان يحكمه مسعود بن وانودين زعيم مغراوة فوقع بين الطرفين قتال شديد انتهى بانتصار ابن ياسين واتباعه وانهزم المغراويين ومقتل زعيمهم، ثم تمكن ابن ياسين من فتح سجلماسة^(٦٠)، وفي احدى هذه المعارك قتل يحيى بن عمر فعين ابن ياسين بدلا عنه اخيه ابو بكر بن عمر^(٦١)، ولقبه ابن ياسين بلقب أمير المسلمين^(٦٢) وذلك احتراما منه لخلفاء بني العباس لأنه لا تجوز خلافتين في نفس العصر في العالم الاسلامي بالرغم من حدوث هذا الامر فيما بعد وذلك لظروف معينة مر بها العالم الاسلامي وهي مذكورة ومسطرة في كتب التاريخ.

كما أطلق على اتباعه تسمية المرابطين^(٦٣)، نسبة الى الرباط الذي أسسه عند مصب نهر السنغال والذي يعد النواة الاولى التي قامت عليها دولة المرابطين.

وفي سنة (٤٤٨هـ/١٠٥٧م) قاد ابو بكر بن عمر جيش المرابطين ففتح تارودانت والسوس بأسره، ثم فتح اغمات وتادلا وتامسنا وذلك سنة (٤٤٩هـ/١٠٥٨م)^(٦٤) وبعد هذه الانتصارات أخذ ابن ياسين يعلن سياسته وفلسفة الدعوة المرابطية، فقسم الاخماس على طريقة الجيوش الاسلامية الفاتحة ونظم البلاد وأخذ يقضي على الفساد الشائع عند السلطة او عند الناس، فألغى الضرائب المجحفة وما حرمه الكتاب والسنة وعين على البلاد عمالا من لمتونة ربما كانوا من طلابه^(٦٥).

بعد ذلك توجه المرابطون بتوجيه من عبدالله بن ياسين الى الجنوب فعبروا الصحراء وهاجموا قبائل السودان الغربي في حوض السنغال فانحصروا عليهم، ففتحت ابواب افريقية المدارية امام القبائل الصنهاجية، أي أنه كسر الحصار الذي كان مضروبا على صنهاجة الصحراء، وفتح أمامها ابواب التوسع شمالا وجنوبا، ومعنى ذلك أن الاسلام كسر النطاق الوقي ووصل الى شعوب افريقية السوداء من هذه الناحية وذلك حادث تاريخي عظيم الاثر والمغزى^(٦٦).

ولم يبق امام عبدالله بن ياسين سوى عدو واحد في المغرب الاقصى ذلك هو قبيلة برغواطة البربرية الخارجة عن الدين والتي تكثر فيها البدع فهاجمها المرابطون في تامسنا والريف الغربي وبعد قتال شديد تمكن المرابطون من تحقيق النصر على برغواطة وهزيمتها وقتل من الطرفين اعداد كبيرة، واصيب الفقيه ابن ياسين بجروح بليغة في هذه المعركة التي حدثت قرب وادي كريفلة سنة (٤٥٠هـ/١٠٥٩م) فلما احس بدنو أجله جمع شيوخ صنهاجة وقال: ((يا معشر المرابطين أنا ميت في يومي هذا وأنتم في بلاد اعدائكم فايكم ان تحنثوا وتقتلون وتذهب

ريحكم، كونوا الفة على الحق وإخوانا في الله، وأياكم والمخالفة والتحاسد على الدنيا واني ذاهب عنكم فانظروا من ترضونه لأمركم يقود جيوشكم ويغزوا اعدائكم ويقسم فيكم زكاتكم واعشاركم))^(٦٧).

فاتقق الجميع على اختيار الامير ابو بكر بن عمر الذي كان ابن ياسين قد اختاره لقيادة الجيوش تحت رأيه ونظره، وتوفي عبدالله بن ياسين يوم الاحد الرابع والعشرين من جمادي الاولى سنة (٤٥١هـ) الثامن من تموز سنة (١٠٥٩م)^(٦٨).

وكانت لمتونة لا تقدم احدا منهم للصلاة الا من صلى خلف عبدالله بن ياسين وقيل أن ابن ياسين كان نكاحا للنساء يتزوج في الشهر عددا منهن ثم يطلقهن، فكان لا يسمع بامرأة حسناء الا خطبها ولا يجاوز بصداقهن اربعة مئاقيل^(٦٩).

واما ما شذ فيه ابن ياسين من الاحكام فأخذة الثلث من الاموال وزعمه انها بذلك تطيب وان الرجل اذا دخل في دعوتهم وتاب عن سالف ذنوبه قالوا له: ((قد اذنبت ذنوبا كثيرة فيجب ان يقام عليك حدودها، فيضربوه حد الزنا وحد الافتراء، وإن علموا انه قتل قتلوه سواء اتاهم تائبا طائعا او غلبوا عليه، ومن يتخلف من مشاهدة الصلاة مع الجماعة ضرب عشرين سوطا ومن فاتته ركعة ضرب خمسة اسواط فكان اكثرهم يصلون بغير وضوء اذا حان الوقت واعجلهم الامر من اجل الضرب))^(٧٠).

وبوفاة ابن ياسين اختفت تلك الشخصية الفريدة التي جمعت متناقضات كثيرة، من ايمان وحماس ديني شديد وميل مفرط الى النساء والاستمتاع، وزهد وميل الى التصوف، الى جانب النزوع الى السلطان والجاه، ولكنه كان على الجملة رجلا فذا بعيد النظر واسع المطامح دقيق الايمان بالإسلام شديد العصبية لقومه، وكان يزعم انه فقيه واسع العلم ولكن الحقيقة ان علمه بالفقه كان قليلا، وقد احصى المؤرخون عليه اخطاء فقهية كثيرة واحكاما صدرت عنه مخالفة للشرع، ولكنهم جميعا يثنون عليه بالذكاء والصلاح والايمان والاخلاص والشجاعة، وخاصة القول فيه انه كان رجل دين وسياسة، وشخصية فريدة أوتيت القدرة على قيادة الرجال وصنع التاريخ^(٧١).

وقد حظي ابن ياسين بتأييد الامير وزادت مكانته عنده، لأنه رغم اتساع جاهه لم يتخط حدوده قط، واستمر يعطي الامير حقه من الاجلال والتعظيم والطاعة، وان جنح احيانا الى فرض هيئته الدينية عليه بذكاء^(٧٢).

وعندما قتل عبدالله بن ياسين كان سلطان ابي بكر بن عمر وقبيلته لمتونة قد استقر وطاعت له كل قبائل صنهاجة الصحراء، أي ان عبدالله بن ياسين اتم مهمته قبل موته ووجد

صفوف الصنهاجيين تحت راية الجهاد في سبيل الله، وقاد خطواتهم الاولى في الانتصار على الزناتيين في الشمال وقبائل افريقية المدارية السوداء في الجنوب، واخرجها من الفوضى والتفرق الى النظام والوحدة واشعرها بقوتها واعطاها غايات واهدافا دينية وسياسية واضحة، ورسم لها الطريق لتحقيق هذه الغايات والاهداف^(٧٣).

المبحث الثالث

اوجه التشابه والاختلاف بين ابو عبدالله الداعية وعبدالله بن ياسين

أولا : اوجه التشابه :

بعد قراءة سيرة كل من الداعيتين وجدنا هناك بعض اوجه التشابه بينهما وفي عدد من النواحي منها الدينية والسياسية وغيرها:

١ - الناحية الدينية :

بدأ كل من ابو عبدالله وابن ياسين دعوتها منطلقا من ثوابت دينية ومستندا على الدين كأساس لدعوته وذلك لأن كل منهما ادرك مدى تأثير الدين على الشعوب وكسب قلوب الناس بدعوتهم الى الدين، وأن الدين هو الاساس الذي قامت عليه الكثير من الدول.

فأبو عبدالله الداعية فور وصوله الى مكة سأل عن حجاج قبيلة كتامة فالتقى بهم وجلس مع شيوخهم، وصار يلقاهاهم كل يوم فيحدثهم ويلقي فيهم علمه حتى بهر عقولهم واجتذب قلوبهم، فطلبوا منه الاذن في زيارته فأذن لهم في ذلك ففرحوا كثيرا^(٧٤).

واستمر أبو عبدالله في التقرب من القوم وتوثيق العلاقة بينه وبينهم الى أن تعلق قلبهم به فطلبوا منه ان يأتي معهم الى بلاد المغرب ليدرس ابنائهم القرآن الكريم وبعد الحاح شديد من قبلهم وافق وسار معهم الى بلادهم، وهناك بدأ بجمع الاتباع وتوحيد القبائل الى ان تمكن من اسقاط دولة الاغالبة واقامة الدولة الفاطمية.

اما عبدالله بن ياسين فقد سلك طريقاً مشابهاً لطريق ابو عبدالله، اذ بدأ بتدريس ابناء الصحراء وتلقيهم في أمور دينهم التي كانوا يجهلون الكثير منها، لكنه اصطدم بهم أول الامر وهموا بقتله واخرجوه من بلادهم، فترك قبيلة جدالة وسار الى لمتونة فجمع حوله عدد من الاتباع وسار بهم الى مكان منقطع عند مصب نهر السنغال للعلم والعبادة، وقد وصل عدد هؤلاء الرجال الى حوالي الف رجل وقد اخلصوا له وأطاعوه طاعة عمياء فخرج بهم من عمق الصحراء وبدأ بقتال قبائل صنهاجة فبدأ بجدالة ثم لمتونة وغيرها الى ان دانته له جميع قبائل الصحراء بالولاء والطاعة ثم اختار احد ابناء تلك القبائل ليكون زعيما وقائدا لتلك الجموع فاختر ابو بكر بن عمر

اللمتوني أميرا للمرابطين كما أسماهم ابن ياسين نسبة الى رباطه المشهور الذي كان نواة ذلك الجيش وتلك الدولة الفتية.

ولو دققنا في دعوة كل من الرجلين نجد ان كل منهما لم يدع لنفسه، فقد دعا ابو عبدالله لرجل من اهل البيت يرتضيه الناس ويتبعونه، ويكون هو احد جنود ذلك الامام وطوع أمره كما فعل لاحقا عندما سلم الامر الى عبيد الله المهدي وخرج من الامر كله.

اما ابن ياسين فقد كان الاب الروحي للمرابطين ولم يتولى القيادة بنفسه وانما كان يختار الرجل المناسب في ابناء قبيلة لمتونة كما فعل عند اختياره ليحيى بن عمر وبعد مقتله اختار ابو بكر بن عمر.

٢- الناحية السياسية والعسكرية :

من هذه الناحية ايضا لمسنا بعض اوجه التشابه بين كل من ابو عبدالله وابن ياسين فمن الناحية السياسية كانت وجهة انطلاق كل من ابو عبدالله وابن ياسين نحو بلاد المغرب، لخلو المنطقة بشكل عام من سلطة الخلافة الفعلية فقد كانت تتجاذب المنطقة بأسرها أطراف عديدة داخلية وخارجية، فكانت هذه البلاد محط انظار كل من يروم تأسيس دولة مستقلة.

أيضا فقد تحلى كل من ابو عبدالله وابن ياسين بصفات القيادة الحقيقية من الحزم والشجاعة والدهاء والسرعة في اتخاذ القرار وكيفية التعامل مع اقوام لم يعرفهم من قبل وكسبهم الى جانبه والحصول على تأييدهم وسلب عقولهم وكيف تمكن من اقناعهم بحيث يطيعوه طاعة عمياء ويجعلوه قائدا عليهم، وانهم قاتلوا بني جلدتهم دفاعا عنه وضحوا بأنفسهم ليحموه من اعدائه المتربصين به.

كذلك تمكن كل من ابو عبدالله وابن ياسين من انشاء دولة من العدم بدون اي مساعدة من أي طرف من خارج البلاد، فقد اعتمد الاثنان على قبائل من جنس واحد هم البربر سكان البلاد الاصليين الذين كانوا دائما يتطلعون الى قيام دولة يحكمونها بأنفسهم، وفعلا ساهموا بقيام عدد من الدول التي حكمت في بلاد المغرب وكانوا هم اعمدتها والأساس في قيامها وقادة لجيوشها او وزراء لأمرائها وان لم يكونوا زعمائها او الحكام الفعليين فيها.

ومن الناحية العسكرية لم يستعن كل من ابو عبدالله وابن ياسين بجيوش من خارج البلاد وانما كانت سيوف البربر هي الاداة التي تمكن بها ابو عبدالله من القضاء على دول الاغلبية وبني مدرار والدولة الرستمية وانشأ على انقاضها دولته الدولة الفاطمية، وكذلك ابن ياسين الذي تمكن بسيوف البربر من توحيد جميع قبائل صنهاجة الصحراء وجعل منها دولة قوية هي دولة المرابطين.

ومما تشابه به الرجلان هو ما فعله ابو عبدالله من توحيد قبائل كتامة بعد ان كانت متناحرة يقتل بعضها بعضا، فجعلها صفا واحدا تحت راية الدولة الفاطمية، وكذلك الدور الذي لعبه ابن ياسين في توحيد قبائل صنهاجة الضاربة في الصحراء وجعل منها دولة قوية موحدة هي دولة المرابطين.

ومن ناحية توزيع الغنائم فقد قام كل من ابو عبدالله وابن ياسين بتوزيعها وفق الشريعة الاسلامية وذلك منذ أول معركة انتصروا فيها، فقد وزعوا اربع اخماس الغنيمة على الجيش وبقي الخمس لبيت المال.

كذلك فقد تعرض كل منهما للاغتيال فأبو عبدالله بعد ان استقر في قبيلة كتامة تعرض للاغتيال اكثر من مرة فنزل عند احد زعمائها وهو الحسن بن هارون الذي دعمه ووقف الى جانبه الى ان جمع عددا من الاتباع وتقوى بهم وانتصر على اعدائه، ونفس الشيء حدث مع ابن ياسين فقد حاولت قبيلة جدالة اغتياله بعد ان اثقل عليهم بضرورة الالتزام بما جاءت به الشريعة الاسلامية، فعاد والتجأ الى قبيلة لمتونة التي التف حوله رجالها وجعل منهم جيشا نظاميا فقاتل القبائل الاخرى واجبرها جميعا على الخضوع والطاعة.

ثانياً: اوجه الاختلاف:

هناك بعض اوجه الاختلاف التي لمسناها عند قراءة سيرة كل من ابو عبدالله وابن ياسين وفي اكثر من ناحية ومنها:-

١- الناحية الدينية :

جاء ابو عبدالله بمذهب جديد وغريب عن البلاد لم يألفه الناس من قبل، ذلك هو المذهب الاسماعيلي، والذي استطاع من خلاله اقناع شيوخ ووجهاء كتامة وكسبهم الى جانبه وحقق عن طريقهم ما يصبو اليه.

اما عبدالله بن ياسين فقد ركز على المذهب المالكي الذي هو مذهب البلاد ويعرفه الناس قبل مجيء ابن ياسين، فازدادوا تمسكا به وتعلقا بابن ياسين الذي اصبح قائدهم الفعلي في الحرب والسلم وقادهم الى انشاء دولة قوية مترامية الاطراف.

ومن المفيد ان نذكر هنا أن ابا عبدالله حاول اقناع اهل القيروان باتباع مذهبه الجديد فلم يفلح، وحاول اخاه ابو العباس فرض المذهب بالقوة فمنعه ابو عبدالله.

اما ابن ياسين فلم تعترضه هذه المشكلة لأنه كان مالكي المذهب وهو المذهب الذي يدين به سكان المغرب في تلك الفترة وهذا ما سهل الامر على ابن ياسين وجعله مقبولاً لدى سكان الصحراء.

ومن اوجه الاختلاف بينهما ايضا أن ابو عبدالله الداعية هو من اختار بلاد المغرب بالاتفاق مع شيخه ابن حوشب فدخل البلاد مع حجاج كتامة بطريقة لم يجعل من حوله يشعرون بان لديه قضية مصيرية جاء من اجلها، ولم يعلن عن غرضه واهدافه حتى امتلك القوة والمال بمساعدة قبيلة كتامة.

اما عبدالله بن ياسين فلم يأت الى البلاد برغبة منه وانما جاء بطلب والحاح من يحيى بن ابراهيم الجدالي، وكان الغرض الاساس من دعوته للبلاد هو تقوية ابناء الصحراء وتعريفهم بشعائر الاسلام، ثم تطور الامر فيما بعد الى ان اصبح ابن ياسين الزعيم الروحي لهذه الجماعة وأنشأ منهم قوة ضاربة جنوب الصحراء والتي كانت النواة التي قامت عليها دولة المرابطين.

٢- الناحية السياسية والعسكرية :

من الناحية السياسية ايضا وجدنا بعض الاختلافات فيما بينهما، فأبو عبدالله جاء من خارج البلاد، أما ابن ياسين فهو من ابناء المغرب وتحديدًا من قبيلة جزولة الصنهاجية.

ومن النتائج العسكرية واجه الداعية دول قائمة في بلاد المغرب وتمكن من اسقاطها جميعا وهي دولة الاغالبة وبني رستم وبني مدرار، أما ابن ياسين فقد واجه قبائل ولم يواجه دول، وقد بدأ بجدالة ولمطة وغيرها من قبائل صنهاجية حتى تمكن من اخضاعها جميعا.

ومن اوجه الاختلاف بينهما أن ابو عبدالله الداعية استند على قبيلة كتامة وهي من قبائل البربر الكبيرة والقوية، وبعد أن اقنع شيوخها أصبح هو القائد الفعلي وصاحب الكلمة الاولى والاخيرة فيها.

اما ابن ياسين فقد حصل على تأييد لمتونة وذلك بعد جهود ماضية اذ بدأ معهم بالإرشاد والوعظ وتدریس المذهب المالكي الى ان كسب ثقتهم ومحبتهم واطاعوه طاعة عمياء وبجهودهم وصل الى مبتغاه.

ومن نقاط الاختلاف بينهما أن ابا عبدالله فقد كل شيء بعدما سلم الامر الى عبيد الله المهدي أول خلفاء الدولة الفاطمية، الذي جرده من كل شيء واستولى على الاموال التي جمعها ابو عبدالله في ايكجان، أما ابن ياسين فقد استمر في مركز القيادة والجميع يقدم له الولاء والطاعة حتى وفاته.

كما كان هناك اختلاف في طريقة وفاة كل منهما، فأبو عبدالله الداعية بعد أن سلم الامر الى المهدي شعر بأنه خسر كل شيء وكان بإمكانه ان يبقى الامر بيده ويعيش ملكا الى وفاته، وكذلك كان اخوه ابو العباس يلومه على هذا التصرف فأثر هذا الشيء في نفسه وبدأ يحدث من يثق به انه نادم على تسليم الامر للمهدي وانه جرده من كل شيء، وكان هذا الكلام وكل ما



يدور بين ابو عبدالله وصحبه يصل الى المهدي، فلما تأكد من الامر، أرسل بعض جنده فقام بقتل ابو عبدالله وأخيه ابو العباس وكل من تعاطف معهم.

اما ابن ياسين فقد استمر في مركزه على رأس الهرم يحترمه الجميع ولا يقطعون أمرا دونه وينفذون كل ما يأمرهم به، ولم يخالفوه قط، وبقي كذلك الى ان اصيب بجروح بليغة في احدى المعارك عندما كان يقاتل قبيلة برغواطية وقد توفي بعد ذلك بقليل متأثرا بجروحه، بعد أن اختار ابو بكر بن عمر لقيادة المرابطين وحثهم على الوحدة وعدم الانقسام وطاعة اميرهم وقد التزم الجميع بتعاليم ابن ياسين واصبحت دولة المرابطين - بفضلها - دولة من الدول الكبيرة والقوية في ذلك الوقت اذ حكمت المغرب الاقصى وبلاد الاندلس واستمرت ما يقارب القرن من الزمان.

الخاتمة

وفي ختام الدراسة كان الملاحظ على هذين الرجلين انهما بذلا جهوداً مضنية في سبيل تحقيق هدفهما ولم يفوت الاثنان اي فرصة من اجل الوصول الى ماكان يطمح اليه. فقد كانت لهما حنكة ودهاء وقدرة على كسب اهالي بلاد المغرب وجعلهم جنوداً مطيعين لهم من خلال دروس العقيدة والفقہ التي نشرها فاثرت في الناس وانارت بصيرتهم فادى الامر الى قيام دولتين على الاسس الدينية.

واستطاعا ان يشكلان جيشاً قوياً لتلك الدولتين من اهل المغرب ودون اي مساعدة او دعم من جهات خارجية مع اخذ الحيطة والحذر التي مكنتهم من تجاوز محاولات اغتيال عديدة جرت ضدهما.

وتمكنا من تطويع القبائل البربرية الى صالح الدعوة واخضعوها لسلطتهم اثناء تشكيل الدولتين بل وتجاوز الامر الى انهاء دول كانت موجودة مثل الدولة الرستمية والاغلبية والمدارية وغيرها فشكوا بذلك دولتين حكمتا المغرب لفترة طويلة من الزمن بلغت من الشهرة والنفوذ ما لم تصل اليه الدول السابقة لهم.

References

- (١) ابن الأثير، عز الدين ابو الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م): الكامل في التاريخ، دار صادر، دار بيروت (بيروت، ١٩٦٦م)، ٣١/٨؛ ابن ابي دينار، ابي عبدالله محمد بن ابي القاسم الرعيني القيرواني (ت ١٠٩٢هـ/١٦٨١م): المؤنس في اخبار افريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، ط١، (تونس، ١٣٨٦هـ)، ص ٥١؛ بونار، رايح: المغرب العربي، تاريخه وثقافته، دار الهدى، ط٣، (الجزائر، ٢٠٠٠م)، ص ١١١.
- (٢) المذهب الاسماعيلي: وهم اتباع اسماعيل بن جعفر الصادق وكان اكبر اخوته وتوفي في حياة ابيه بالمدينة المنورة سنة (١٤٥هـ/٧٦٣م) والاسماعيلية ترفض القول بوفاته قبل ابيه. ينظر: السكسكي، ابي الفضل عباس بن منصور التريني (ت ٦٨٣هـ/١٢٨٥م): البرهان في معرفة عقائد اهل الاديان، تحقيق: بسام علي سلامة، مكتبة المنار، ط١، (الاردن، ١٩٨٨م)، ص ٨١هامش ٢.
- (٣) ابن الاثير: الكامل ٣١/٨: ابن عذاري، ابو العباس احمد بن محمد المراكشي (كان حياً سنة ٧١٢هـ ١٣١٣م): الديان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب (ج١+ج٢+ج٣)، تحقيق: ج. س. كولان وليفي بروفنسال، ج٤، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة، ط٣، (بيروت، ١٩٨٣م) ١/١٢٤؛ مؤنس، حسين: معالم تاريخ المغرب والاندلس، دار الرشاد، ط٢، (القاهرة، ٢٠٠٤م)، ص ١٤٠.
- (٤) سالم، السيد عبد العزيز: المغرب الكبير، دار النهضة العربية (بيروت، ١٩٨١) ص ٥٩٤؛ مؤنس: معالم، ص ١٣٩.
- (٥) ذكرته مصادر اخرى باسم: رستم بن الحسين بن حوشب بن دازان النجار، ينظر: ابن الاثير: الكامل ٣١/٨، سالم: المغرب، ص ٥٩٥.
- (٦) عماد الدين، الداقي ادريس (ت ٨٧٢هـ/٤٨٨م): تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الاخبار، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، ط١، (بيروت، ١٩٨٥م) ص ٥٩؛ الدشراوي، فرحات: الخلافة الفاطمية بالمغرب، تعريب: حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، ط١، (بيروت، ١٩٩٤)، ص ٨٠-٨١.
- (٧) وهما داعيتان ارسلتا الى بلاد المغرب للتبشير بالمذهب الاسماعيلي ولم تذكر المصادر التاريخية عنهما شيئاً سوى الاسم.
- (٨) ابن الأثير: الكامل ٣١/٨؛ وينظر: سالم: المغرب الكبير، ص ٥٩٥؛ الصلابي، علي محمد: الدولة العبيدية الفاطمية، المكتبة العصرية، ط١، (بيروت، ٢٠٠٧م) ص ٤٠.
- (٩) سالم: المغرب الكبير، ص ٥٩٥؛ مؤنس: معالم، ص ١٣٩.
- (١٠) مؤنس: معالم، ص ١٣٩-١٤٠.
- (١١) ابن الأثير: الكامل ٣١/٨-٣٢؛ عماد الدين: عيون الاخبار ص ٨٣-٨٤؛ الدشراوي: الخلافة الفاطمية، ص ٨٢.

- (١٢) عماد الدين: عيون الاخبار ص ٨٤؛ سالم: المغرب الكبير، ص ٥٩٥؛ الدشراوي: الخلافة الفاطمية، ص ٨٣.
- (١٣) ابن الأثير: الكامل ٣١/٨-٣٢؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/٤٠٦م): تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات (بيروت، ١٩٧١م) ٣٢/٤؛ مؤنس: معالم، ص ١٤٠؛ الصلابي: الدولة العبيدية، ص ٤٠.
- (١٤) ابن الاثير: الكامل ٣٢/٨؛ عماد الدين: عيون الاخبار، ص ٨٤-٨٥؛ ابن ابي دينار: المؤنس، ص ٥١.
- (١٥) ايكجان: ناحية بالمغرب من بلاد البربر في بلاد كتامة كان اكثر مقام ابو عبدالله الداعية فيها وسماها بدار الهجرة، ينظر: الحموي، شهاب الدين ابي عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م): معجم البلدان، دار صادر، ط ٨، (بيروت، ٢٠١٠م)، ٢٧٣/١.
- (١٦) ابن الاثير: الكامل ٣٢/٨؛ ابن خلدون: تاريخ ٣٢/٤؛ مؤنس: معالم ص ١٤١؛ الصلابي: الدولة العبيدية، ص ٤١.
- (١٧) عماد الدين: عيون الاخبار، ص ٨٨؛ مؤنس: معالم، ص ١٤١؛ الدشراوي: الخلافة الفاطمية، ص ٨٥.
- (١٨) مؤنس: معالم، ص ١٤١.
- (١٩) مؤنس: معالم، ص ١٤١-١٤٢.
- (٢٠) ابن الاثير: الكامل، ٣٣/٨.
- (٢١) ابن الاثير: الكامل، ٣٣/٨-٣٤؛ بونار: المغرب العربي، ص ١١٢؛ الصلابي: الدولة العبيدية، ص ٤.
- (٢٢) مؤنس: معالم، ص ١٤٢.
- (٢٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ١٣٨-١٣٩.
- (٢٤) مؤنس: معالم، ص ١٤٢.
- (٢٥) ابن الاثير: الكامل ٣٤/٨؛ عماد الدين: عيون الاخبار، ص ١٠٨-١١١؛ بونار: المغرب العربي، ص ١١٢.
- (٢٦) ابن الاثير: الكامل، ٣٥/٨؛ عماد الدين: عيون الاخبار، ص ١١٤؛ مؤنس: معالم، ص ١٤٣.
- (٢٧) ابن الاثير: الكامل، ٣٧/٨-٣٩؛ ابن خلدون: تاريخ ٣٤/٤-٣٥؛ الدشراوي: الخلافة الفاطمية ص ١٧٥؛ سعد الله ابو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، عالم المعرفة، ط ١، (الجزائر، ٢٠١٥م) ٨/٢.
- (٢٨) ابن الاثير: الكامل ٤١/٨؛ ابن خلدون: تاريخ ٣٥/٤؛ ابن وردان (د/ت): تاريخ مملكة الاغالبة، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مديبولي، ط ١، (القاهرة، ١٩٨٨م) ص ٦٣؛ عماد الدين: عيون الاخبار ص ١١٦-١١٧.
- (٢٩) قسطلية: مدينة كبيرة في بلاد الجريد من ارض الزاب عليها سور حصين، ينظر: الحموي: معجم البلدان، ٣٤٨/٤.
- (٣٠) قفصة: بلدة صغيرة في طرف افريقية من ناحية المغرب من عمل الزاب الكبير بالجريد بينها وبين القيروان ثلاثة ايام، ينظر: الحموي: معجم البلدان، ٣٨٢/٤.

- (٣١) اربس: مدينة وكورة في افريقية وكورتها واسعة واكثر غلتها الزعفران وبها معدن حديد وبينها وبين القيروان ثلاثة ايام من جهة المغرب، ينظر: الحموي: معجم البلدان، ١٣٦/١
- (٣٢) ابن الاثير: الكامل ٤٢/٨-٤٤؛ عماد الدين: عيون الاخبار، ص ١٣٢-١٣٣؛ مؤنس: معالم ص ٤٣؛ الصلابي: الدولة العبيدية، ص ٤١-٤٢.
- (٣٣) ابن وردان: مملكة الاغالبة ص ٦٤؛ عماد الدين: عيون الاخبار، ص ١٣٤-١٣٥؛ الدشراوي: الخلافة الفاطمية، ص ١٥٥-١٥٧.
- (٣٤) رقادة: بلدة بافريقية بينها وبين القيروان اربعة ايام لم يكن بافريقية اطيب هواء ولا اعذب نسима وارق تربة منها بناها ابراهيم بن احمد بن الاغلب سنة (٢٦٣هـ/٨٧٧م)، ينظر: الحموي: معجم البلدان، ٥٥/٣.
- (٣٥) ابن الاثير: الكامل ٤٦/٨-٤٧؛ ابن عذاري: البيان المغرب ١/١٥٠؛ ابن ابي دينار: المؤنس، ص ٥٢.
- (٣٦) ابن ابي دينار: المؤنس، ص ٥٢؛ الدشراوي: الخلافة الفاطمية، ص ١٦٦.
- (٣٧) ابن الاثير: الكامل ٤٧/٨؛ عماد الدين: عيون الاخبار ص ١٣٩؛ ابن ابي دينار: المؤنس، ص ٥٢.
- (٣٨) مؤنس: معالم، ص ١٤٣.
- (٣٩) ابن الاثير: الكامل، ٤٧/٨-٤٨؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ١/١٥٢-١٥٣؛ ابن ابي دينار: المؤنس، ص ٥٢.
- (٤٠) ابن الاثير: الكامل، ٤٨/٨-٤٩؛ ابن خلدون: تاريخ، ٤/٣٦؛ سالم: المغرب الكبير، ص ٦٠١-٦٠٣؛ الصلابي: الدولة العبيدية، ص ٤٢-٤٣.
- (٤١) عماد الدين: عيون الاخبار، ص ١٧٤؛ ابن ابي دينار: المؤنس، ص ٥٣؛ سعد الله: تاريخ الجزائر، ص ٩.
- (٤٢) ابن الاثير: الكامل، ٨/٥٠؛ ابن خلدون: تاريخ ٤/٣٧؛ مؤنس: معالم، ص ١٤٥-١٤٦.
- (٤٣) ابن الاثير: الكامل ٥١/٨-٥٢؛ ابن عذاري: البيان المغرب ١/١٦٤؛ عماد الدين: عيون الاخبار، ص ١٨٦-١٨٧؛ ابن ابي دينار: المؤنس، ص ٥٣٦؛ سالم: المغرب الكبير، ص ٦٠١-٦٠٣.
- (٤٤) وجاج بن زلو: من اهل السوس الاقصى رحل الى القيروان فاخذ عن ابي عمران الفاسي ثم عاد الى بلده فبنى دارا سماها بدار المرابطين لطلبة العلم وقراء القرآن، ينظر: البكري: المسالك والممالك، ٢/٨٥٩.
- (٤٥) البكري، ابو عبيد عبدالله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م): المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، مكتبة المثنى (بغداد، د.ت)، ص ١٦٥؛ وينظر: الصلابي، علي محمد: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الافريقي، دار المعرفة، ط٤، (بيروت، ٢٠١١م) ص ٢٧.
- (٤٦) مؤنس: معالم، ص ١٨٢-١٨٣.
- (٤٧) ابو عمران الفاسي: هو موسى بن عيسى بن ابي حاج الغفجومي، اصله من فاس ونزل القيروان، فأخذ عن ابي الحسن القابسي، ثم رحل الى قرطبة فقرأ على ابي محمد الاصيلي، ثم رحل الى المشرق فزار مصر ومكة وبغداد واخذ عن علمائها، ثم عاد الى القيروان فأقرأ بها القرآن مدة ثم درس الفقه واسمع الحديث واشتهر بها شهرة تامة ورحل اليه طلبه العلم من البلاد، توفي بالقيروان سنة (٤٣٠هـ/١٠٣٨م)؛ الدباغ، ابو

- زيد عبد الرحمن بن محمد الانصاري (ت ٦٩٦هـ/١٢٩٧م): معالم الايمان في معرفة اهل القيروان، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت، ٢٠٠٥) ٣/١٦٢-١٦٧.
- (٤٨) ابن الأثير: الكامل ٦١٨/٩-٦١٩؛ ابن سماك العاملي، ابي القاسم محمد بن ابي العلاء محمد (د/ت): الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، تحقيق: د. عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ٢٠١٠م)، ص ٦٣-٦٤؛ مؤنس: معالم ص ١٨٢.
- (٤٩) ابن سماك العاملي: الحلل الموشية ص ٦٣-٦٤؛ ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٥م): اعمال الاعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ٢٠٠٣م)، ٢/٣٨٥.
- (٥٠) بلاد السوس: كورة بالمغرب مدينتها طنجة وهو السوس الاقصى وبينه وبين السوس الادنى مسيرة شهرين، ينظر: الحموي: معجم البلدان، ٣/٢٨٠-٢٨١.
- (٥١) ابن سماك العاملي: الحلل الموشية، ص ٦٤-٦٥؛ مؤنس: معالم، ص ١٨٣؛ الصلابي: تاريخ، ص ٢١.
- (٥٢) مؤنس: معالم، ص ١٨٣؛ الصلابي: تاريخ، ص ٢٧.
- (٥٣) مؤنس: معالم، ص ١٨٣-١٨٤.
- (٥٤) الصلابي: تاريخ دولتي، ص ٢٧.
- (٥٥) ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ٢/٣٨٥؛ سعد الله: تاريخ الجزائر، ٢/٥٧؛ سالم: المغرب الكبير، ص ٦٩٥؛ مؤنس: معالم، ص ١٨٥.
- (٥٦) ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ٢/٣٨٥؛ الصلابي: تاريخ دولتي، ص ٥٦-٥٧.
- (٥٧) ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ٢/٣٨٥.
- (٥٨) ابن سماك العاملي: الحلل الموشية، ص ٦٦-٦٧.
- (٥٩) مؤنس: معالم، ص ١٨٥.
- (٦٠) ابن سماك العاملي: الحلل الموشية، ص ٦٧-٦٨؛ مؤنس: معالم ص ١٨٥.
- (٦١) ابن الأثير: الكامل، ٩/٦٢٠؛ النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٣م): نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق: حسين مؤنس، مراجعة: عبد العزيز الأهواني، المكتبة العربية (القاهرة، ١٩٨٣م) ٢٤/٢٥٧؛ ابن سماك العاملي: الحلل الموشية ص ٦٨؛ سالم: المغرب الكبير، ص ٦٩٦.
- (٦٢) ابن الأثير: الكامل، ٩/٦٢٠؛ النويري: نهاية الأرب، ٢٤/٢٥٧.
- (٦٣) ابن الأثير: الكامل ٩/٦٢٠؛ ابن سماك العاملي: الحلل الموشية، ص ٦٦.
- (٦٤) ابن الخطيب: اعمال الاعلام ٢/٣٨٦؛ سالم: المغرب الكبير، ص ٦٩٦.
- (٦٥) سعد الله: تاريخ الجزائر، ٢/٥٧-٥٨.
- (٦٦) مؤنس: معالم، ص ١٨٥-١٨٦؛ سعد الله: تاريخ الجزائر، ص ٥٧-٥٨.
- (٦٧) ابن الخطيب: اعمال الاعلام ٢/٣٨٦؛ سالم: المغرب الكبير، ص ٦٩٦.
- (٦٨) ابن الأثير: الكامل ٩/٦٢١؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ٤/١٦؛ النويري: نهاية الارب، ٢٤/٢٥٩-٢٦٠؛ ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص ٣٨٦.



- (٦٩) ابن عذاري: البيان المغرب، ١٦/٤.
- (٧٠) ابن عذاري: البيان المغرب، ١٦/٤-١٧.
- (٧١) مؤنس: معالم، ص ١٨٦.
- (٧٢) مؤنس: معالم، ص ١٨٦.
- (٧٣) مؤنس: معالم، ص ١٨٦.
- (٧٤) ابن الاثير: الكامل، ٣١/٨-٣٢؛ ابن خلدون: تاريخ، ٣٢/٤؛ مؤنس: معالم ص ١٤٠.